الفصل الثاني
الخطاب الديني في دعوة الأنبياء

◘ الحكمة مِنْ إرسال الرُّسُل:

لا شَكَّ أنَّ الأنبياء أهم نماذج الإصلاح للمجتمعات، لأَنَّ الهدف مِنْ إرسالهم إلى أقوامهم هو النصيحة والتجديد والتغيير مِنْ أجل الإصلاح.

كما حكى الله عنهم في قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود]. انظر كيف جعل الله سبحانه الإصلاح سببًا في نفي الظلم عن الناس، وحفظهم مِنْ عقاب الله تعالى لهم. كأن الإصلاح مرتبط بإزالة المنكر وآثاره، والقضاء على الفساد وتتبعه في كل مكان، والحدِّ من انتشار الذنوب والفواحش والإعلان بها، أكثر مِنَ ارتباطه بنظم الحكم وسياسات الدول والحكومات.

❁ ❁ ❁

ولقد اتبع الأنبياء والرُّسُل أحسن الأساليب في توصيل الخطاب إلى أقوامهم:

١- بالحجة والبيان والبلاغة.

٢- بالمعجزات والآيات البينات، والحكم والكتب المُنزّلة عليهم.

٣- بالمحاورة والمناظرة.

٤- بالدعاء لهم والحديث معهم بالقول اللَّين، وتارة بالدعاء عليهم عند اليأس منهم.

obeikandl.com

٥- يخاطبونهم بالمعقول، وأخرىٰ بالمنقول.

٦- يناشدونهم القربىٰ والأرحام.

٧- بالإنذار وبالبشارة.

٨- بالحكمة والموعظة الحسنة.

٩- بالتحذير مما حدث للأمم السابقة ممن كذَّبوا رسلهم.

١٠- بالعفو والصفح عما اقترفوه، وحثهم علىٰ التوبة والإنابة.

١١- بدعوتهم إلىٰ الإصلاح ونبذ السوء والأخلاق الذميمة، ودعوتهم إلىٰ الأخلاق الفاضلة والعادات السليمة.

١٢- بالدعوة للقراءة والعلم والتدبر والفهم.

١٣- بتذكيرهم بالموت والحساب والجنَّة والنار.

١٤- بتذكيرهم بأيام الله ﷻ ومقامه وفضله وهيبته.

❁ ❁ ❁

ودعوة الأنبياء أساسها الدعوة إلىٰ توحيد الله تعالىٰ، خالية مِنَ الشرك، وإلىٰ التوبة إلىٰ الله ﷻ، دعوة قوامها العقيدة الصحيحة، والعبادة التي تتزكَّىٰ بها أنفسهم، والمعاملة التي تزيد بينهم بروابط الأخوَّة في الله تعالىٰ، وتحقيق الأمن والأمان، وعدم مهادنة الكفر والشرك.

وكل ما سبق ذكره إجمالًا يُوجَد مفصَّلًا في كتاب الله ﷻ الذي لا ينطق مَنْ أُرسل به عن الهوىٰ، والذي لا يأتيه الباطل، احتوىٰ علىٰ أَحسن

القصص، والقصص الحق، والعبرة فيما كان حديثًا يفترىٰ.

فاعكف علىٰ دراسة قصص الأنبياء كما جاءت في القرآن الكريم والسُّنَّة الصحيحة، واستخرج منها كما استخرج العلماء آلاف المواعظ، والأسس التربويَّة والأخلاقيَّة والسلوكيَّة والتي ترتقي بالأمم والشعوب، وتصل بها إلىٰ برِّ الأمان حيث الملك العلَّام (جلَّ وعلا).

❁ ❁ ❁

لقد عَلِمَ المولىٰ ﷻ عجز البشريَّة عن الوصول إليه، وضعف عقولها عن إدراك مصالحها ومنافعها، فأرسل الرُّسل رحمةً بهم لترشدهم إلىٰ الحق جلَّ وعلا، وتدلُّهم علىٰ الخير النافع، وتعلِّمهم الحلال الطيب، وتنهاهم عن الحرام الخبيث الضارِّ.

لذلك اصطفىٰ هؤلاء الرُسُل مِنْ خير الأجناس وأطهر السُّلالات، وأيَّدهم بأصدق العبارات، وجعلهم علىٰ أحسن الأخلاق، فكانوا هم النماذج الصالحة للبشريَّة، والقدوة الحسنَة لهم.

وطهَّرهم مِنَ المعايب، ونزَّههم عن الرذائل، وأيَّدهم بالحجَّة الدامغة.

فطريقهم هو طريق الهدىٰ والصواب، والهدىٰ والصواب في غير طريقهم مسدود، بل هو سراب في سراب.

❁ ❁ ❁

وقفة

- التخلص مِنْ آفات الحضارة الغربية المنحرفة، والعودة إلى المنهج الإسلامي الذي ورثناه من سلفنا الصالح هو السبيل لإقامة أعلى قمة حضارية في العالم كله.
- مفتاح التغيير الحضاري معرفة سُنَّة الله تعالى في العلاقة بين السَّبَبِ والمسبَّبِ.
- دين الله تعالى ليس بحاجة إلى شهادة العلم الحديث، بل العلم الحديث هو الذي بأمسِّ الحاجة إلى أن يجد في الدين شهادة صدقه.
- لكي لا نختنق كما اختنق الغرب لا بُدَّ أنْ نعلم أنَّ أحداث هذا الكون أشبه ما تكون بسفينة عملاقة يُسيِّرها الله سبحانه وتعالى، إنْ اجتمعنا عليه كسفت شمس الحضارة الغربية وهي كاسفة فعلًا.
- لا تسجن نفسك في سجن المادة فتكون عبدًا للأسباب الماديَّة دون أنْ ترى أنْ الذي يقود سفينة الكون هو الله ﷻ.

وفي قصة نوح عليه السلام مع ابنه وقت الطوفان. إذ قال ابنه: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ فقال له نوح عليه السلام: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۖ﴾ (هود:٤٣).

- إذن لا بُدَّ مِنْ عقيدة راسخة نتمثَّلُها على أرض الواقع فهي مفتاح الخروج مِنْ سجن الحضارة الغربية والتحرُّر مِنْ أسرِها، هذه العقيدة ينشأ عنها اليقين العلمي الصحيح، وهذا غير اليقين التدريبي الذي ينشأ عن تكرار التجربة.
- نتعامل مع الدنيا ونحن مستخدِمون لها، ولن نقع تحت سنابك الدنيا لتستخدمنا هي.
- لكي نتحرَّر مِنْ سكرة الدنيا ينبغي أنْ نعلم أنَّ مسبِّب الأسباب هو الله ﷻ، فهنا حقيقتان لا يفترقان: حقيقة الأسباب، وحقيقة عبوديتنا لله ﷻ.